المبحث السابع
الفصل والوصل

ومبحث الفصل والوصل من المباحث التي عني بها البلاغيون حتى ذهب بعضهم إلى القول : إن البلاغة ، معرفة الفصل من الوصل !.

ومما قيل في أهمية تمييز الفصل من الوصل قول القزويني [1] : «وتمييز موضع أحدهما من الآخر ، على ما تقتضيه البلاغة فن عظيم» .

وقال قبله عبد القاهر الجرجاني [2] في أهمية مبحث الفصل والوصل : «إنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد ، إلا كمل لسائر معاني البلاغة» .

ونحن نرى ، دون تقليل من أهمية هذا المبحث ، أن ذلك مبالغة في الأمر .

ومن أوائل من تكلم في هذا الموضوع في العربية الجاحظ [3] وأبو هلال العسكري [4] والوصل عطف الجمل بعضها على البعض الآخر بالواو . والفصل ترك ذلك .

وفي حديث للدكتور إبراهيم أنيس [5] عن هذا الموضوع يقول :

(لا نغالي حين نقرر أن اللغة العربية لغة الوصل ، ففيها من أدوات الربط ما لا نكاد نراه في غيرها ، كالواو والفاء وثم وغيرها . وقد اشتركت في هذا إلى حد ما كل اللغات السامية . فالوصل خاصية من خصائص اللغات السامية ، لا نكاد نراها في اللغات الأوربية . ويكفي أن يقوم المرء بترجمة قطعة من اللغة العربية إلى الإنجليزية ترجمة صحيحة حتى يدرك أنه لا بد من تجاهل واوات العطف الكثيرة في الكلام العربي . فإذا كانت الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وجد المترجم أنه من الضروري أن يمد ترجمته العربية بعدد من واوات العطف

---

(1) الإيضاح : 147/1 .

(2) دلائل الإعجاز : ص 146 .

(3) البيان والتبيين : 146/1 .

(4) الصناعتين : 458 وما بعدها .

(5) من أسرار اللغة : ص 327 .

التي يتطلبها الأسلوب العربي . وتلك تجربة مر بها كل منا حين مارس الترجمة بين لغتين .

والوصل والفصل في اللغات - وما زال الحديث للدكتور أنيس - لا يعدو أن يكون أمر أسلوب . ولا يصح أن نتلمس منه حكماً على عقلية الشعوب التي تصل أو تفصل .

وترك العطف ، أي الفصل ، يكون إما للاتصال بين الجمل إلى الغاية ، أو الانفصال إلى اللغة . والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين» [1] .

والحديث عن الوصل حديث عن العطف بـ «الواو» دون غيرها من حروف العطف ، لأنها تدل على الجمع والاشتراك فقط ، دون زيادة ، في حين يدل العطف بـ «الفاء» ، مثلاً على الترتيب مع التعقيب . ويدل العطف بـ «ثم» على الترتيب مع التراخي . وقد جمعت ذلك الآيات الكريمة التالية : ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء: 79 - 81] .

الفصل

هناك مواضع يجب الفصل فيها ، كما أن هناك مواضع يجب الوصل فيها . ومواضع الفصل هي :

أولاً - كمال الاتصال :

وذلك أن يكون بين الجملتين اتحاد تام ، أي اتصال كامل ، كأن تكون الثانية توكيداً للأولى ، أو بدلاً منها ، أو بياناً لها . وذلك كما يأتي :

(أ) **التوكيد** : وهو معنوي أو لفظي .

---

(1) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 160 .

ويظهر نوعا التوكيد هذان في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2] .

ففي هذه الآية الكريمة ثلاث جمل هي : (1) ذلك الكتاب (2) لا ريب فيه (3) هدى للمتقين .

والجملتان الثانية والثالثة توكيدان ، الأولى معنوي والثانية لفظي .

فإنه لما بولغ في وصف الكتاب - وهو القرآن الكريم - بأنه بلغ الدرجة القصوى من الكمال ، وقد تم ذلك بجعل المبتدأ (المسند إليه) اسم إشارة ، (ذلك) ، وتعريف المسند إليه باسم الإشارة يدل على شدة العناية به ، كما مر بنا ، واستعمال «ذلك» التي تدل على بعد المشار إليه ، دليل على تعظيم المشار إليه ، وهو «الكتاب» هنا ، وتعريف الخبر (المسند) ، وهو الكتاب ، بـ «أل» يفيد الانحصار حقيقة ، مثل : «الله الواجب» ، أو مبالغة ، مثل : «حاتم الجواد» فمعنى ذلك أنه الكتاب الكامل ، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص ، وهو الذي يستحق أن يسمى «كتاباً» كما تقول «هو الرجل» ، أي الكامل في الرجولية ، كأن ما سواه بالنسبة إليه ليس برجل . أقول : لما تم ذلك جاءت «لا ريب فيه» توكيداً معنوياً للأمر . وهذه الجملة مثل : «نفسه» في قولنا : «جاءني زيد نفسه» .

والجملة الثالثة - هدى للمتقين - توكيد لفظي . مثل : «زيد» الثانية في قولنا : «جاءني زيد زيد» [1].

ومثال آخر للتوكيد المعنوي هو قولنا : ليس له وقت للجد «في قولنا : «يقضي رائد وقته في اللهو ، ليس له وقت للجد» .

ومثال آخر للتوكيد اللفظي قوله تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٧] .

(ب) البدل : وهو أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى ، لكون الأولى غير وافية بتمام المراد ، فأتي بالثانية .

وهو إما :

---

(1) سعد الدين التفتازاني : المطول على التلخيص : 253 .

1- بدل بعض من كل مثل :

(*) قولـه تعـالى : ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: 133 - 134] .

فـ « أمدكم بأنعام وبنين ... » هي البدل ، وقد فصّلت ما أوجز وأوفت بتمام المراد ، وهي «بعض» ما يعلمونه .

(*) وسّع أفق تفكيرك ، اقرأ الأدب .

و«اقرأ الأدب» بدل بعض من «وسع أفق تفكيرك» لأن توسيع أفق التفكير لا يتم بالأدب وحده ، فالفلسفة والتاريخ والرياضيات وغيرها مما يوسع أفق التفكير ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أوضحت هذه الجملة ما ركز عليه المتكلم مما يوسع أفق التفكير .

2- بدل اشتمال . مثل :

(*) قولـه تعـالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: 21 - 20] .

فقوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أوضح المراد ، «أي لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا والآخرة» [1].

(*) قول الشاعر :

أقول له : ارحل لا تقيمين عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

فجملة : «لا تقيمين عندنا» بدل اشتمال من جملة «ارحل» إذ المراد إظهار شدة الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره العلن . وهي أوفى بتأدية المطلوب من الأولى .

---

(1) الزمخشري : الكشاف : 319/3 .

(ج) **البيان** : وهو أن تكون الجملة الثانية مبينة للأولى ، وذلك بأن تنزل منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والذي يدعو إلى ذلك أن يكون في الأولى بعض الخفاء الداعي إلى إزالته . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [طه: 120] .

فجملة «قال» فصلت عما قبلها لأنها بيان له وإيضاح إذ بينت وأوضحت ماذا وسوس الشيطان لآدم .

(*) أفاد هيثم زميله ، أعاره الكتاب الذي هو في حاجة إليه .

ثانياً - كمال الانقطاع :

وهو أن تنقطع الصلة بين الجملتين انقطاعاً تاماً . ويكون ذلك بأن :

1- **تكون إحدى الجملتين خبراً والأخرى إنشاء :**

(أ) لفظاً ومعنى . مثل :

(*) قول الصاحب بن عباد :

الشك أبرد للحشا في مثله يا ليت شكي فيه دام وطالا

فالجملة الأولى : «الشك أبرد» خبرية ، والثانية : «يا ليت شكي ...» إنشائية ، تمن .

(*) قول أبي فراس الحمداني :

تسائلني : من أنت ؟ وهي عليمة وهل لفتى مثلي على حاله نكر ؟!

فجملة : «تسائلني» خبرية ، وجملة «من أنت ؟» إنشائية استفهام .

(*) انطلق القطار منذ زمن طويل ، لا تحاول اللحاق به .

(ب) **لفظاً لا معنى** . (على أن لا يفهم الفصل خلاف المقصود) . مثل :

(*) سافر وليد ، سلّمه الله .

فجملة «سافر وليد» خبرية لفظاً ومعنى ، و «سلمه الله» خبرية لفظاً إنشائية معنى . إذ معناها : سلمه يا الله ، وهو أمر «مجازي» .

(*) نجح يوسف ، وفقه رب العباد .

فـ «نجح يوسف» خبرية ، و «وفقه رب العباد» خبرية لفظاً إنشائية معنى .

(*) مات فلان ، رحمه الله .

2- **لا يكون بين الجملتين مناسبة أو علاقة تجمع بينهما ، حين تكون كل من الجملتين قائمة بذاتها ، مستقلة عن الأخرى . مثل :**

(*) الصدق منجاة ، سافر نبيل بالسيارة .

فلا علاقة بين «الصدق منجاة» و «سافر نبيل بالسيارة» ولا مناسبة بينها ، فكل منهما مستقلة بذاتها .

(*) الكتاب خير صديق ، الربيع سيد الفصول .

(*) الجد طريق النجاح ، رب أخ لك لم تلده أمك .

ثالثاً : شبه كمال الاتصال :

ويسمى «الاستئناف» . وبه يتم الفصل بين الجملتين لتنزيل الثانية منزلة الأولى باعتبارها جواباً عن سؤال يستنتج أن السامع سيسأله بينه وبين نفسه عند سماعه الجملة الأولى . وتسمى الثانية «مستأنفة» أو «استئنافاً» .

ويتم الفصل في ضوء استنتاج هذا السؤال الذي تكون الجملة جواباً عنه لأسباب . منها : تنبيه السامع ، أو إغناؤه عن السؤال ، أو لئلا ينقطع كلام المتكلم بسؤال السامع ، أو للإيجاز ، أو لغير ذلك .

ويكون السؤال الذي يستنتج من الجملة الأولى أما عن :

(أ) سبب الحكم فيها مطلقاً : ويتم ذلك حين يكون السامع يجهل السبب بصورة عامة ، أي أنه خالي الذهن من السبب . مثل :

(*) قول الشاعر :

قال لي :

كيف أنت ؟ قلت : عليل سهر دائم وحزن طويل

والشاهد هنا في «سهر دائم ...» فهو الجواب عن سؤال يستنتج مما قبله . فكأن السامع سأل : وما سبب علتك ؟.

(*) خالد محبوب من الناس ، معين لكل ذي حاجة .

و«معين لكل ذي حاجة» هي الجملة المفصولة ، فكأنها جواب لسؤال هو : ما سبب حب الناس لخالد ؟.

(*) قول الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

(ب) سبب خاص : وهنا يتم الفصل لأن السؤال الذي يستنتج أن السامع يسأله لا يكون عن السبب بصورة عامة ، بل هو يعرف السبب ، دون أن يكون متيقناً منه ، فهو متردد بين أن يكون هو السبب الذي في باله أو هو غيره ، أي صار الجهل (المتأتي من عدم اليقين) ثم السؤال مخصصاً بحال - أي بسبب - معين ، لا بصورة عامة . مثل :

(*) ما جاء في سورة «يوسف» : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53] .

فقد فصلت الجملة الثانية : «إن النفس ...» عن الجملة الأولى ، كأن السامع يسأل عن سبب خاص هو متردد في كونه هو السبب فعلاً ، أو أن السبب غيره . والسبب هنا ، الذي يخمنه السامع هو : «أمر النفس بالسوء» . ولهذا جاء الجواب : «إن النفس لأمارة بالسوء» اثباتا للسبب المخمن ، ومؤكداً بـ «إن» دفعاً للتردد [1].

(*) «أستيقظ مبكراً ، إن ذلك عادة من عاداتي» . والجملة الثانية المفصولة عن الأولى هي ، كما هو واضح ، «إن ذلك عادة ...» فكأن السامع يسأل المتكلم : هل السبب ذلك عادة ؟ دون أن يكون متأكداً من ذلك فهو متردد ، إذ قد يكون - حسب تصور السامع - ذلك لسبب آخر ، كأن يكون رغبة المتكلم في عدم التأخر عن العمل ، أو لغيره من الأسباب . ولما كان السبب فعلاً ، «عادة» عند المتكلم - أي سبب خاص - كما ظن السامع ، أجابه المتكلم بـ «إن ذلك عادة من عاداتي» . وأكده بـ «إن» .

---

[1] القزويني : الإيضاح : 150/1 - 154 .

وهكذا يتضح لنا في «شبه كمال الاتصال» أن السؤال المستنتج ، الذي تفصل الجملة الثانية من أجله ، والتي هي جواب عنه ، سؤال عام مطلق ، لخلو ذهن السامع من السبب ، أو سؤال عن سبب خاص يخمنه السامع [1].

ويضيف بعض البلاغيين موضعين آخرين للفصل إلى المواضع الثلاثة المارة الذكر (كمال الاتصال ، كمال الانقطاع ، شبه كمال الاتصال) يسمون الأول : «شبه كما الانقطاع» والثاني «التوسط بين الكمالين» أي التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع . ويمثلون للأول بقول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

ويمثلون للثاني بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15 - 14] .

وهذا تفريع لا داعي له إذ أن المثالين - وكل منهما يدل على موضع جديد من مواضع الفصل في رأيهم - إنما هو داخل في «الاستئناف» ، أي «شبه

---

(1) يضيف البلاغيون حالة ثالثة إلى حالتي السؤال السابقتين ، أي عن سبب الحكم مطلقاً والسبب الخاص ، هي أن يكون عن غير هذين السببين ، دون صفة (الصفة في الحالتين السابقتين هما : الإطلاق للحالة الأولى والخصوصية للحالة الثانية) . ويتردد المثالان الآتيان للتمثيل عن هذه الحالة . ولتتابع الأمر كما أورده القزويني (الإيضاح 156/1 - 157) .

قال القزويني : «وإما عن غيرهما ، كقوله تعالى : ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: 69]» «قالوا : سلاماً ، قال : سلام» كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال : سلام . ومنه قول الشاعر :

زعم العواذل أنني في غمره صدقوا ، ولكن غمرتي لا تنجلي

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال ، كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل : «أصدقوا أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام إذا كان ذلك قد قيل له ، ففصل» . انتهى كلام القزويني .

ونحن نرى أن المثال الأول لا يخرج عن كون السؤال عن «سبب الحكم مطلقاً» ، لأن السامع خالي الذهن مما قال إبراهيم عليه السلام . وسؤاله عام مطلق .

أما المثال الثاني فنرى أنه لا يخرج عن كون السؤال عن «سبب خاص» هو « صدق» زعم العواذل الذي يتردد السامع في اعتباره السبب - الخاص - فربما «كذبوا» !

وهكذا لا نرى سبباً ثالثاً للسببين السابقين ، أي لا نرى حالة ثالثة .

كمال الاتصال» ! وقد تحدث عن الثاني عبد القاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الإعجاز» [1] وعده من الاستئناف . وتحدث السكاكي عن الاثنين في كتابه «مفتاح العلوم» [2] وعدهما من الاستئناف أيضاً !! فلا داعي لأن نكون «كلاميين» أكثر من السكاكي ، شيخ المدرسة الكلامية ، التي نعد توسعها في التفريغ من المآخذ عليها .

---

(1) ص 152 - 155 .

(2) ص 126 .